الأخوة المعينة في طريق الدعوة في ضوء القرآن الكريم موسى وهارون عليهما السلام أنموذجًا

الدكتور

توفيق علي زبادي

الأستاذ المساعد

معهد الدراسات القرآنية للبنات بمكة المكرمة

ملخص البحث

تناولت في هذا البحث "**الأخوة المعينة في طريق الدعوة في ضوء القرآن الكريم**":

سنة الله في الرسل والأنبياء طلب المعين، وصفات المعين، ثم تناولت معالم في طريق الدعوة، ثم تناولت مقومات الإعانة، ثم تناولت ثمار الأخوة، وأخيرًا وضعت محاذير في طريق الأخوة المعينة في طريق الدعوة.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم معرفة حقيقة الأخوة المعينة كما وردت في القرآن، وغياب القدوة الصالحة في الأخوة المعينة في العصر الحديث.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج، ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص.

أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في القرآن المتعلقة بموضوع البحث.

وأما المنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص المستقراة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحتملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان (**الأخوة المعينة في طريق الدعوة في ضوء القرآن الكريم**)، من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما المقصود بالأخوة المعينة في طريق الدعوة؟

٢- ما معالم الأخوة في طريق الدعوة؟

٣- ما مقومات الإعانة؟

٤- ما هي ثمار الأخوة المعينة في طريق الدعوة؟

٥- ما المحاذير التي يجب الحذر منها في العلاقة بين الأخوة المعينة في طريق الدعوة؟

وكانت من أهم النتائج:

أن طلب المعين سُنة إلهية في الأنبياء وورثتهم؛ فليحرص عليها العلماء والدعاة.

وكانت من أبرز التوصيات:

أوصي العلماء بالتعاون والاتفاق على العدل والإنصاف فيما بينهم، والصدع بالحق عند السلطان، وإظهار السنن وإخماد البدع، والقيام لله في أمور الدين ومصالح المسلمين، وتحمل الأذى المترتب على ذلك.

الكلمات الدلالية:

الأخوة– المعينة– الدعوة– القرآن.

Supporting brothers in the way of Da'wah in the light of the Holy Quran

Asst. Prof. Dr. Towfeek Ali Zabady

Institute of Quranic Studies for Girls in Makkah

Research Summary

In this research I dealt with "Supporting brothers in the way of Da'wah in the light of the Holy Quran":

The Sunnah of Allah in the Messengers and prophets request support, and the supporter qualities such as: Good speech, Ratification and approval, Kinship , The kindness and the soft, Ask for forgiveness and mercy for the supporter and the Supported, Then I took a few milestones in the way of Da'wah such as: Self-preparation and self-purification, Cooperation in Da'wah, Patience on the woes, And participate in the gain of the Da'wah ,Cooperation in Jihad, Then I addressed the benefits of the subsidy such as: Brotherhood, trust and obedience, Then I dealt with the gains of brotherhood such as: Rotation in the Da'wah, Participation in remuneration, Ratification, prevention and victory. Finally I put warnings in the way of supporting brothers in the way of Da'wah.

Main recommendations:

I recommend scientists to cooperate and agree on justice and equity among them, And to do the laws of Sharia, and Say the truth to the unjust ruler, Showing the divine laws and suppressing heresies, Work for Allah in matters of religion and Muslims, Patience on the harm, Choose the best and completed one, because they are example of people in Islamic rulings and Allah's argument on people.

Keywords

Da'wah – Quran – Brotherhood – Supporting

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد[1]: فأمر الدعوة إلى الله ﷻ أمر جليل وعظيم عند الله ﷻ، يختص به من يشاء من عباده؛ لتبليغ رسالته إلى خلقه.

والدعاة إلى الله ﷻ سفراء بين الله ﷻ وخلقه، وأَعْظِمْ بهذه المنزلة، وهذه المكانة!

والداعي إلى الله الذي عانى أمر الدعوة إلى الله يعرف أهمية أن يكون له أخ موات مُعين مؤازر في السراء والضراء، يُستشار وتُبَثُّ الشكوى إليه، وبدون ذلك يحس الداعية بغربة هائلة مُحْزِنَة كما ورد عنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ؛ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ**»[2].

وأدب المعين المؤازر في الدعوة إلى الله ﷻ: شد الأزر، والاشتراك في الأمر.

والغاية من الإعانة ذكر الله وتسبيحه، كما قال تعالى على لسان موسى عليه السلام:

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾

(١) تُسمى هذه خطبة الحاجة، وكان رسول الله ﷺ يفتتح بها كلامه، في الحديث الذي رواه ابن مسعود، مسند الإمام أحمد (ج١/٣٩٢).

(٢) **سنن أبي داود:** في اتخاذ الوزير، (٢٥٤٣). قال الألباني: صحيح، انظر: "**صحيح أبي داود**" (٢٦٠٣)، "**الصحيحة**" (٤٨٩).

وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾

فاستجاب الله ﷻ لطلب موسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٩-٣٦].

فإن لم يتحقق كثرة الذكر وكثرة التسبيح؛ لا تكون أخوة مُعينة خالصة لله ﷻ.

وهذه سنة الله في الأنبياء والرُسل.

أولًا: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في عدم معرفة حقيقة الأخوة المعينة كما وردت في القرآن، وغياب القدوة الصالحة في الأخوة المعينة في العصر الحديث.

ثانيًا: أهمية الموضوع

١- خدمة كتاب الله الكريم.

٢- بيان إعجاز القرآن الكريم في الوحدة الموضوعية على مستوى القرآن كله.

٣- إبراز الأخوة المعينة في ضوء القرآن؛ لتكون عونًا للدعاة على طريق الدعوة إلى الله.

ثالثًا: أسئلة البحث:

ما صفات المعين على طريق الدعوة إلى الله؟

الأسئلة الفرعية:

- ما المعالم الأساسية في طريق الدعوة؟
- ما مقومات الإعانة على طريق الدعوة؟
- ما المحاذير في طريق الأخوة المعينة في طريق الدعوة؟

رابعًا: أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان صفات ومقومات الأخوة المعينة على طريق الدعوة، من خلال توضيح الآتي:

- سنة الله ﷻ في الأنبياء والرسل طلب الإعانة في طريق الدعوة.
- موسى عليه السلام يطلب المعين في طريق الدعوة.

- صفات المعين في طريق الدعوة.
- معالم في طريق الدعوة؛ دعوة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون وقومه أنموذجًا.
- مقومات الإعانة في طريق الدعوة.
- ثمار الأخوة المعينة في طريق الدعوة.
- محاذير في طريق الأخوة المعينة في طريق الدعوة.

خامسًا: أسباب اختيار الموضوع:

١- لم يفرده أحد بالتناول -حسب علمي.

٢- بيان الوحدة الموضوعية على مستوى القرآن.

٣- حاجة العاملين في طريق الدعوة إلى الاتفاق والتعاون؛ لتبليغ دعوة رب العالمين، فعرضنا أنموذجًا يُحْتَذَى من كتاب الله ﷻ.

سادسًا: الدراسات السابقة:

توجد العديد من الدراسات التي تناولت موضوع الأخوة، لكن يغلب عليها الحديث عن حقوق وواجبات الأخوة؛ ومن ذلك:

١. الحب في الله وحقوق الأخوة، المؤلف/ أحمد فريد.
٢. الأخوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية: إسماعيل علي مُحَمَّد.
٣. الإخوة الإسلامية: الشيخ عبد الله ناصح علوان.
٤. الأخوة الإسلامية وآثارها: عبد الله جار الله آل جار الله.
٥. الأخوة أيها الإخوة: مُحَمَّد حسين يعقوب.

وغيرها من الدراسات والكتب المصنفة في الأخوة.

ولم أجد أحدًا -حسب علمي- من أفرد الأخوة المعينة في طريق الدعوة (موسى وهارون عليهما السلام أنموذجًا).

سابعًا: منهج البحث:

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج؛ ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقرائي والوصفي والتحليلي للنصوص والاستنباطي.

أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع البحث.

أما المنهج الوصفي: ففي وصف الآيات القرآنية المتعلق بموضوع الأخوة.

أما المنهج التحليلي: وذلك بتحليل الآيات القرآنية المستقراة.

أما المنهج الاستنباطي: بالوقوف على المواقف التي لها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

ثامنًا: حدود البحث:

سيدور الحديث على موضوع الأخوة المعينة على طريق الدعوة (موسى وهارون أنموذجًا) من خلال الآيات القرآنية التي ذُكِرَت فيه القصة.

وكانت خطة على النحو التالي:

- **تمهيد**: تعريف الإخاء في اللغة والاصطلاح.
- **المبحث الأول**: سنة الله ﷻ في الأنبياء والرسل طلب الإعانة في طريق الدعوة.
- **المبحث الثاني**: موسى عليه السلام يطلب المعين في طريق الدعوة.
- **المبحث الثالث**: صفات المعين في طريق الدعوة.
- **المبحث الرابع**: معالم في طريق الدعوة؛ دعوة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون وقومه أنموذجًا.
- **المبحث الخامس**: مقومات الإعانة في طريق الدعوة.
- **المبحث السادس**: ثمار الأخوة المعينة في طريق الدعوة.
- **المبحث السابع**: محاذير في طريق الأخوة المعينة في طريق الدعوة.
- **الخاتمة والتوصيات**.

تمهيد

التعريف بالأخوة المعينة

تعريف الإخاء في اللغة والاصطلاح:

الإخاء لغة:

(أَخَّ) وَأَمَّا الْهَمْزَةُ وَالْخَاءُ فَأَصْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: تَأَوُّهٌ أَوْ تَكَرُّهٌ، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ طَعَامٌ بِعَيْنِهِ[(١)].

والأخ من النَّسب: هو من جمعك وإيَّاه صلب أو بطن. وقد يكون الصَّديق والصَّاحب. وجمع الأخ إخوة وإخوان. وقال بعض النّحويين: سمّي الأخ أخا؛ لأنَّ قصده قصد أخيه.

والتَّآخي: اتخاذ الإخوان. وفي صفة أبي بكر: «**لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ؛ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ**»[(٢)].

وقال ابن الجوزيُّ: الأخ: اسم يُرَاد به المساوي والمعادل[(٣)].

الإخاء اصطلاحًا:

قيل: هو مشاركة شخص لآخر في الولادة من الطّرفين أو من أحدهما أو من الرّضاع، ويستعار لكلّ مشارك لغيره في القبيلة، **أو في الدّين**، أو في صنعة، أو في معاملة، أو في مودَّة، أو في غير ذلك من المناسبات.

وقال ابن حجر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، يعني في التَّوادِّ

(١) **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس: (١/ ١٠).

(٢) **صحيح البخاري**: كتاب الصلاة: باب: الخوخة والممر في المسجد، (١/ ١٠٠)، (٤٤٦).

(٣) **لسان العرب** (١٤/ ٢٣١٩)، **ونزهة الأعين النواظر** (١٣١).

وشمول الدعوة[١].

والأخوة: هي قوة إيمانية تورث شعورًا عميقًا بعاطفة صادقة ومحبة وود واحترام، وثقة متبادلة، مع كل من تربطنا بهم عقيدة التوحيد ومنهج الإسلام الخالد.

عون: العون المعاونة والمظاهرة؛ يقال: فلان عوني، أي: معيني، وقد أعنته، قال: ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ [الكهف: ٩٥]، والتعاون: التظاهر[٢].

ونقصد بالأخوة المعينة: مشاركة المتحابين والمتوادين في الله ﷻ في تبليغ دعوة رب العالمين إلى العالمين، متحملين في سبيل ذلك الابتلاء واللأواء، موقنين بعون الله ونصرته لهم.

(١) **فتح الباري** (٧/ ٣١٧)، **ومفردات الراغب** (١٣)، **والكليات للكفوي** (٦٣)، **والتوقيف على مهمات التعاريف** للمناوي (٤١).

(٢) **المفردات** للراغب الأصفهاني: ٥٩٨.

المطلب الأول

سُنة الله ﷻ في الأنبياء والرسل

طلب الإعانة في طريق الدعوة

لا بد لكل صاحب عقيدة ودعوة من أنصار ينهضون معه، ويحملون دعوته، ويحامون دونها، ويبلغونها إلى من يليهم، ويقومون بعده عليها.

وإذا نظرنا إلى حالة الأنبياء المرسلين إلى الخلق؛ رأيتهم بهذه الحال بحسب أحوالهم خصوصًا خاتمهم وأفضلهم مُحَمَّد ﷺ، فإنه في الذروة العليا من كل صفة كمال، وكان له من الأعوان على الحق من الصحابة فمن بعدهم ما ليس لغيره.

أولًا: إبراهيم عليه السلام يطلب العون من إسماعيل عليه السلام في بناء البيت الحرام:

قال إبراهيم عليه السلام: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ رَبَّكَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا.

قَالَ: أَطِعْ رَبَّكَ.

قَالَ: إِنَّهُ قَدْ أَمَرَنِي **أَنْ تُعِينَنِي عَلَيْهِ.**

قَالَ: إِذَنْ أَفْعَلَ -أَوْ كَمَا قَالَ.

قَالَ: فَقَامَا، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، قَالَ: حَتَّى ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ وَضَعُفَ الشَّيْخُ عَنْ نَقْلِ الْحِجَارَةِ، فَقَامَ عَلَى حَجَرِ الْمَقَامِ، فَجَعَلَ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَيَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (١). **فهل من إجابة إسماعيلية للدعاة في إعادة بناء الأمة ونهضتها؟**

ثانيًا: عيسى عليه السلام يطلب النصير المؤازر:

قال الله على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢].

---

(١) **صحيح البخاري**: كتاب: أحاديث الأنبياء: بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}، (١٤٤/٤)، (٣١١٤).

قال مجاهد: أي: من يتبعني إلى الله؟ والظاهر: أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله؟[١].

وقال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: "تَوَجَّهَ إِلَى الْبَحْثِ عَنْ أَهْلِ الِاسْتِعْدَادِ الَّذِينَ يَنْصُرُونَهُ فِي دَعْوَتِهِ، تَارِكِينَ لِأَجْلِهَا كُلَّ مَا يُشْغِلُ عَنْهَا، مُنْخَلِعِينَ عَمَّا كَانُوا فِيهِ، مُتَحَيِّزِينَ وَمُنْزَوِينَ إِلَى اللهِ، مُنْصَرِفِينَ إِلَى تَأْيِيدِ رَسُولِهِ وَنَصْرِهِ عَلَى خَاذِلِيهِ وَالْكَافِرِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ"[٢]، فوهب الله "له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه"[٣].

وقال ابن عاشور رحمه الله قوله: (مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ)، لعله قاله في ملأ بني إسرائيل إبلاغًا للدعوة، وقطعًا للمعذرة. والنصر يشمل إعلان الدين والدعوة إليه[٤].

ثالثًا: لوط عليه السلام تمنى النصير المؤازر:

تمنى لوط عليه السلام أن تكون له عشيرة وأصحاب ينصرونه، كما قال الله على لسانه: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾﴾ [هود: ٨٠] أي: عشيرة وأصحاب ينصرونني، ولكنه كان يأوي إلى الله عز وجل، وهو الركن الشديد لكل داعٍ.

عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**رحمة الله على لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد** -يعني: الله عز وجل- **فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة[٥] من قومه**»[٦].

رابعًا: النبي ﷺ طلب النصير المؤازر:

---

(١) **تفسير ابن كثير**: (٢/ ٤٦).

(٢) **تفسير المنار**: (٣/ ٢٥٨).

(٣) **تفسير ابن كثير**: (٢/ ٤٦).

(٤) **التحرير والتنوير**: (٣/ ٢٥٥).

(٥) الثروة: العدد الكثير، **النهاية في غريب الأثر** (١/ ٥٩٩).

(٦) **سنن الترمذي**: رقم (٣١١٦)، قال الشيخ الألباني: حديث حسن، انظر: **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، (١٥٣/٤)، (١٦١٨).

عن أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله ﷺ بإزاء ثبير[1] وهو يقول: «**أشرق ثبير أشرق ثبير: اللهم إني أسألك بما سألك أخي موسى**؛ ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾»[2].

وكان ﷺ يقول في مواسم الحج، قبل أن يُهَاجِر: «**مَنْ رَجُل يُئوِيني عَلى أن أبلغ كلامَ رَبِّي، فإنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي**»[3].

فقَيّضَ الله ﷻ له الأنصار فآووه ونصروه، وهاجر إليهم فآسوه ومنعوه من الأسود والأحمر، وفي معرض مَنّ الله ﷻ على الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾ [الأنفال: ٦٢] أي: أعانك بمعونة سماوية، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة بالمؤمنين بأن قيضهم لنَصْرِك[4]. وقد سُمّي الأنصار الأنصار بهذا الاسم لنصرتهم رسول الله ﷺ.

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ [الأنفال: ٦٤].

قال الشيخ رشيد رضا رحمه الله: "أَيْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ كَافٍ لَكَ كُلَّ مَا يُهِمُّكَ مِنْ أَمْرِ الْأَعْدَاءِ وَغَيْرِهِ، وَكَافٍ لِمَنْ أَيَّدَكَ بِهِمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - فَالْحَسْبُ فِي تِلْكَ الْآيَةِ كِفَايَةٌ خَاصَّةٌ بِهِ ﷺ فِي حَالٍ خَاصَّةٍ، وَفِي هَذِهِ كِفَايَةٌ عَامَّةٌ لَهُ وَلِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ قِتَالٍ أَوْ صُلْحٍ يَفِي بِهِ الْعَدُوُّ أَوْ يَخُونُ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الشُّئُونِ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْعَطْفُ عَلَى مَعْنَى: وَحَسْبُكَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَيْ: فَإِنَّهُ يَنْصُرُكَ بِهِمْ. **وَلَكِنَّ مُقْتَضَى**

(١) ثَبير: جَبَل بمِنًى. انظر: **النهاية في غريب الأثر** (١١٤٣/٢).

(٢) **الدر المنثور** للسيوطي: (٧/ ٧).

(٣) أحمد في **المسند** (٣٢٢/٣) من حديث جابر ﷺ، قال محققوه: إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين؛ غير عثمان بن المغيرة، فمن رجال البخاري. إسرائيل: هو ابن يونس بن أبي إسحاق السبيعي.

(٤) **تفسير السعدي**: ٣٢٥.

كَمَالِ التَّوْحِيدِ هُوَ الْأَوَّلُ، وَهُوَ كِفَايَةُ اللهِ تَعَالَى لَهُ وَلَهُمْ"[١].

الأنصار ﷺ وزراء:

وصف أبو بكر الصديق ﷺ الأنصار بالوزراء[٢] في سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ وقت اختيار خليفة للمسلمين فقال: "نَحْنُ الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعَلُ، مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَا، وَلَكِنَّا الْأُمَرَاءُ وَأَنْتُمْ الْوُزَرَاءُ"[٣].

وأثنى النبي ﷺ على الزبير ﷺ لكمال نُصرته له، فقال: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيِي الزُّبَيْرُ**»[٤] أي: وزيرًا أو ناصرًا أو خالصًا أو خليلًا أو خاصة من أصحابه، وقال الحرالي: الحواري: المستخلف نفسه في نُصْرة من تحق نصرته بما كان من إيثاره على نفسه بصفاء، وإخلاص لا كدر فيه[٥].

فكان الزبير مختص من أصحاب الرسول ﷺ ومفضل عليهم، والمراد أنه كان له اختصاص بالنُصْرة وزيادة فيها على أقرانه، وإلا فكل الصحابة كانوا أنصاره.

حَض النبي ﷺ المتشاركين في تبليغ الدعوة على الاتفاق:

كان النبي ﷺ إذا أرسل الولاة في الحرب أوصاهم بالاتفاق وعدم الافتراق، كما أوصى معاذًا وأبا موسى بذلك، كما ورد في صحيح البخاري: عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ

(١) **تفسير المنار** (١٠/ ٦٤).

(٢) الوزراء: جَمْع وَزِير وَهو الذي يُوازِرُه فيَحْمِل عنه ما حُمِّلَه من الأثْقال. والذي يَلْتَجيءُ الأمِير إلى رَأيه وتَدبِيره، فهو مَلْجَأٌ له ومَفْزَع. انظر: **النهاية في غريب الأثر** (٣٩٢/٥).

(٣) **صحيح البخاري**: كتاب: فضائل الصحابة: بَاب: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»**، (٦/٦)، (٣٣٩٤).

(٤) **مسند الإمام أحمد**، ت: أحمد شاكر، باب: مناقب الزبير بن العوام، (١/ ٤٦٣) برقم (٦٧٩)، قال: الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال: والحديث رواه الترمذي مختصرًا (٤/ ٣٣٣) وقال: "حسن صحيح".

(٥) **فيض القدير** (٢/ ٦٥٣).

أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**»(١).

قال النووي في الحديث: "اتِّفَاق الْمُتَشَارِكِينَ فِي وِلَايَة وَنَحْوهَا، وَهَذَا مِنْ الْمُهِمَّات، فَإِنَّ غَالِب الْمَصَالِح لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالِاتِّفَاقِ، وَمَتَى حَصَلَ الِاخْتِلَاف فَاتَ"(٢).

وقَالَ اِبْن بَطَّال رحمه الله: "فِي الْحَدِيث الْحَض عَلَى الِاتِّفَاق لِمَا فِيهِ مِنْ ثَبَات الْمَحَبَّة وَالْأُلْفَة وَالتَّعَاوُن عَلَى الْحَقّ"(٣).

المطلب الثاني

موسى عليه السلام يطلب المُعين في طريق الدعوة

عندما أمر الله عز وجل موسى عليه السلام بالذهاب إلى دعوة فرعون، طلب من الله عز وجل المعين له على تبليغ الرسالة: قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ ، قال موسى بعد هذا الأمر:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ ، فاستجاب الله عز وجل لطلب موسى عليه السلام كما قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٢٤-٣٦).

قال السعدي رحمه الله: "هذا السؤال من موسى عليه السلام يدل على كمال معرفته بالله وكمال فطنته ومعرفته للأمور وكمال نصحه؛ وذلك أن الداعي إلى الله المرشد للخلق خصوصًا إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان، يحتاج إلى سعة صدر وحلم تام

(١) **صحيح البخاري**: كتاب: الجهاد والسير، باب: ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، (٤/٦٥)، (٢٨١١).

(٢) **شرح النووي على مسلم** (٦/ ١٧٠).

(٣) **فتح الباري** (٢٠/ ٢٠٢).

على ما يصيبه من الأذى، ولسان فصيح يتمكن من التعبير به عن ما يريده ويقصده، بل الفصاحة والبلاغة لصاحب هذا المقام من ألزم ما يكون؛ لكثرة المراجعات والمراوضات، ولحاجته لتحسين الحق وتزيينه بما يقدر عليه؛ ليحببه إلى النفوس وإلى تقبيح الباطل وتهجينه؛ لينفر عنه، ويحتاج مع ذلك- أيضًا- أن يتيسر له أمره فيأتي البيوت من أبوابها، ويدعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، يعامل الناس كلًّا بحسب حاله، **وتمام ذلك أن يكون لمن هذه صفته أعوان ووزراء يساعدونه على مطلوبه؛ لأن الأصوات إذا كَثُرَت لا بدَّ أن تؤثر، فلذلك سأل عليه السلام هذه الأمور فأعطيها**"[(١)].

وهنا تساؤل: هل طلب موسى للمُعين يُعد تنصلًا من التكليف؟

قال النسفي رحمه الله: "ولم يكن هذا الالتماس من موسى عليه السلام توقفًا في الامتثال، بل التماس عون في تبليغ الرسالة، وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الأمر ليس بتوقف في امتثال الأمر، وكفى بطلب العون دليلًا على التقبل لا على التعلل"[(٢)].

وقال ابن عاشور رحمه الله: "هذا سؤال صريح يدل على أن موسى لا يريد بالأول التنصل من التبليغ؛ ولكنه أراد تأييده بأخيه. وإنما عينه ولم يسأل مؤيدًا ما؛ لعلمه بأمانته وإخلاصه لله ولأخيه وعلمه بفصاحة لسانه"[(٣)].

وقال سيد قطب رحمه الله: "وطلب -إلى الله- أن يوحي إلى هارون أخيه، ويشركه معه في الرسالة اتقاء للتقصير في أداء التكليف، لا نكوصًا ولا اعتذارًا عن التكليف. فهارون أفصح لسانًا، ومن ثم هو أهدأ انفعالًا؛ فإذا أدركت موسى حبسة أو ضيق نهض هارون بالجدل والمحاجة والبيان. ولقد دعا موسى ربه ليحل هذه العقدة من لسانه ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن

(١) **تفسير السعدي**: ٥٠٤.

(٢) **تفسير النسفي** (٢/ ٤٦٣).

(٣) **التحرير والتنوير** لابن عاشور (٢٠/ ١١٦).

لِّسَانِي﴿٢٧﴾﴾ [طه: ٢٧]، ولكنه زيادة في الاحتياط للنهوض بالتكليف طلب معه أخاه هارون وزيرًا ومعينًا.

وكذلك الشأن في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ [الشعراء: ١٤]، فإن ذكره هنا ليس للخوف من المواجهة، والتخلي عن التكليف. ولكن له علاقة بالإرسال إلى هارون، حتى إذا قتلوه قام هارون من بعده بالرسالة، وأتم الواجب كما أمره ربه دون تعويق.

فهو الاحتياط للدعوة لا للداعية:

الاحتياط من أن يحتبس لسانه في الأولى: وهو في موقف المنافحة عن رسالة ربه وبيانها، فتبدو الدعوة ضعيفة قاصرة.

والاحتياط من أن يقتلوه في الثانية: فتتوقف دعوة ربه التي كلف أدائها، وهو على إبلاغها واطرادها حريص. وهذا هو الذي يليق بموسى عليه السلام الذي صنعه الله على عينه، واصطنعه لنفسه، ولما علمه ربه من حرصه هذا وإشفاقه واحتياطه أجابه إلى ما سأل، وطمأنه مما يخاف(١).

وقياسًا على ما طلبه موسى بعد ذكر عذره وبيان حاله:

١- أن يقترح الداعية من يعينه على الدعوة إذا أُرْسِلَ في مهمة دعوية.

٢- أن يحرص الداعية على إنجاح الدعوة ولو بإشراك غيره كلما خاف من نفسه تقصيرًا في متطلبات الدعوة، وعدم قدرته على الانفراد والاستقلال في أعمالها ومتطلباتها، وهذا من علامة صدقه.

٣- أن يقترح الداعية الأخ الكُفْء عِوضًا عنه إذا رأى المصلحة في ذلك، ولا يضيق صدره من عمل الكفء، وعند إقبال الناس عليه، وإذا وجد في نفسه ذلك فليعلم أن إخلاصه مشوب، فليسرع إلى تنقيته، فشر ما يُبتلى به مجتمع الدعاة الفُرْقة والتحاسد.

وعي الصحابة ﷺ في اختيار الكفء في المهام:

(١) **في ظلال القرآن** لسيد قطب (٤/٢٥٩٠).

لما نزل الرسول ﷺ والصحابة ﷺ الحديبية فزعت قريش، فأراد أن يرسل إليهم رجلًا من أصحابه، فاختار عمر بن الخطاب، فأشار عمر إلى الكفء لهذه المهمة:

قال ابن القيم رحمه الله: "فَزِعَتْ قُرَيْشٌ لِنُزُولِهِ عَلَيْهِمْ -في الحديبية- فَأَحَبَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ لِيَبْعَثَهُ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ لِي بِمَكَّةَ أَحَدٌ مِنْ بَنِي كَعْبٍ يَغْضَبُ لِي إِنْ أُوذِيت، فَأَرْسِلْ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ؛ فَإِنَّ عَشِيرَتَهُ بِهَا، وَإِنَّهُ مُبَلّغٌ مَا أَرَدْت.

فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ عَفّانَ فَأَرْسَلَهُ إِلَى قُرَيْشٍ وَقَالَ: «**أَخْبِرْهُمْ أَنّا لَمْ نَأْتِ لِقِتَالٍ؛ وَإِنّمَا جِئْنَا عُمّارًا، وَادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ**» وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْتِيَ رِجَالًا بِمَكَّةَ مُؤْمِنِينَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ فَيَدْخُلَ عَلَيْهِمْ وَيُبَشّرُهُمْ بِالْفَتْحِ، وَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُظْهِرٌ دِينَهُ بِمَكّةَ حَتَّى لَا يُسْتَخْفَى فِيهَا بِالْإِيمَانِ"(١).

وهكذا لا بد من اختيار الرجل المناسب للمهمة المناسبة.

المطلب الثالث: صفات المُعين في طريق الدعوة:

قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٤]، فحدد موسى عليه السلام صفات المعين الذي يريده في طريقه إلى فرعون وقومه، والتي منها:

١- حُسن البيان في مقام الدعوة:

قال تعالى:﴿أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أي: أحسن بيانًا عما يريد أن يبينه(٢)، فيلخص بلسانه الفصيح ما قاله وبينه.

وحُسن البيان هنا مَثَل من أمثلة المؤهلات التي لا بد أن تتوافر في الداعية المعين، وتساعد في تبليغ رسالة رب العالمين بحكمة.

---

(١) **زاد المعاد** (٢٥٧/٣).

(٢) **تفسير الطبري** (١٩/ ٥٧٧).

٢- التصديق والموافقة:

قال تعالى: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ قيل: إنما سأل موسى ربه يؤيده بأخيه؛ لأن الاثنين إذا اجتمعا على الخير؛ كانت النفس إلى تصديقهما أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد(١).

وليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له: صدقت، أو يقول للناس: صدق موسى! وإنما هو أن يلخص بلسانه الفصيح وجوه الدلائل، ويجيب عن الشبهات ويجادل به الكفار؛ فهذا هو التصديق المفيد(٢).

وقال النسفي: "ومعنى تصديقه موسى إعانته إياه بزيادة البيان في مظان الجدال، إن احتاج إليه ليثبت دعواه، لا أن يقول له صدقت؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾، وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لتقرير البرهان لا لقوله صدقت"(٣).

ولنا في الصديق ﷺ القدوة الحسنة في التصديق كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: "لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الأقصى أصبح يتحدث الناس بذلك، فارتد ناس ممن كان آمنوا به وصدقوه، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقالوا: هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس؟ قال: أو قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ فقال: نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك؛ أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة. لذلك سُمي أبا بكر الصديق رضي الله عنه(٤).

٣- القرابة:

قال الله على لسان موسى: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ﴾.

---

(١) **تفسير الطبري** (١٩/ ٥٧٧).

(٢) **تفسير الرازي** (٥/ ٤٢٧).

(٣) **تفسير النسفي** (٣/ ٤٢).

(٤) **المستدرك على الحاكم**، (٤٤٣٢)، **والسلسلة الصحيحة** (١/ ٥٥٢).

وهنا تساؤل: لماذا عيَّنَ هارون ولم يعين مؤيدًا ما؟

قال ابن عاشور رحمه الله: "عَيَنَّهُ وَلَمْ يسْأَل مؤيدًا مَا لِعِلْمِهِ بِأَمَانَتِهِ، وَإِخْلَاصِهِ لِلَّهِ وَلِأَخِيهِ، وَعِلْمِهِ بفصاحة لِسَانه"(١).

وقال الرازي رحمه الله: "إنما سأل ذلك لأن التعاون على الدين منقبة عظيمة، فأراد ألا تحصل هذه الدرجة إلا لأهله، أو لأن كل واحد منهما كان في غاية المحبة لصاحبه والموافقة له"(٢).

وقال سيد قطب رحمه الله: "وطلب أن يعينه الله بمعين من أهله؛ هارون أخيه، فهو يعلم عنه فصاحة اللسان وثبات الجنان وهدوء الأعصاب ... فطلب إلى ربه أن يعينه بأخيه يشد أزره ويقويه، ويتروى معه في الأمر الجليل الذي هو مُقْدِم عليه"(٣).

وقال السعدي رحمه الله: "سأل أن يكون من أهله؛ لأنه من باب البر، وأحق ببر الإنسان قرابته"(٤).

فأحب موسى عليه السلام لأخيه النبوة، وهذا من كمال الإيمان، كما ورد عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(٥).

وقال بعض السلف: ليس أحد أعظم مِنَّةً على أخيه، من موسى على هارون، عليهما السلام، فإنه شفع فيه حتى جعله الله نبيًّا ورسولًا معه إلى فرعون وملئه؛ ولهذا قال الله

(١) **التحرير والتنوير** لابن عاشور (٢٠/ ١١٦).

(٢) **تفسير الرازي** (٤٠٢/١٠).

(٣) **في ظلال القرآن** لسيد قطب (٥/ ١١٧).

(٤) **تفسير السعدي**: ٥٠٤.

(٥) **صحيح البخاري**: كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، (١/ ١٢)، (١٣).

تعالى في حق موسى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩][1] أي: مرضي عنه، مقبول، مغفور له، مستجاب الدعوة.

٤- الرفق واللين:

لما رجع موسى من ميقات ربه ووجد قومه عبدوا العجل، أخذ برأس أخيه يجره إليه، تلطف معه هارون، واستجاش فيه عاطفة الأخوة الرحيمة، ليُسْكِن من غضبه، ويكشف له عن طبيعة موقفه، وأنه لم يُقَصِّر في نصح القوم ومحاولة هدايتهم، وقال: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف: ١٥٠]. وقال في آية سورة طه﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤]، قالها "لتكون أرأف وأنجع عنده[2]، ولأنها كلمة لين وعطف؛ ولأنها -أي أُمْهما- كما قيل كانت مؤمنة"[3].

وهذه المقولة توحي أن هارون كان يغْلُب عليه الحلم واللين، وهما من الأخلاق اللازمة للمشاركين والمتعاونين في تبليغ رسالة الله ﷻ إلى خلقه.

ولذلك كانت لهذه الكلمة الاستعطافية فعل السحر في أن يسكن عن موسى الغضب، ودعا لنفسه بالغفران، وكذلك لأخيه ما عساه أن يكون قصَّر فيه من مؤاخذة القوم.

وهكذا يجب أن يكون الدعاة المتعاونون أن يدعوا لبعضهم البعض ما عساهم قصَّروا فيه بالغفران.

وهذه الأخلاق منَّ الله به على نبينا كما قال﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

(١) **تفسير ابن كثير** (٦/ ٢٣٦).
(٢) المرجع السابق: ٣/ ٤٧٧.
(٣) **فتح القدير** (٣/ ٩٥).

ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وبهذه الأخلاق يُضيّق على الشيطان أن ينزغ بين المتعاونين في تبليغ الرسالة؛ لأنه العدو المتربص ينزغ بينهم كما قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ [الإسراء: ٥٣].

"فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه؛ بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة، فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت، وبالرد السيئ يتلوها، فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف، ثم بالجفوة، ثم بالعداء، والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب، تندّي جفافها، وتجمعها على الود الكريم"(١).

وهذا المعنى ما أشار إليه يوسف عليه السلام حيث حدد من كان سببًا في النزغ بينه وبين إخوته كما قال تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: أفسد بيننا وحمل بعضنا على بعض(٢)، وأعرض -يوسف- عَنِ التَّذْكِيرِ بِتِلْكَ الْحَوَادِثِ الْمُكَدِّرَةِ لِلصِّلَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ، فَمَرَّ بِهَا مَرَّ الْكِرَامِ وَبَاعَدَهَا عَنْهُمْ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ؛ إِذْ نَاطَهَا بِنَزْغِ الشَّيْطَانِ(٣).

٥- طلب المغفرة والرحمة لأخيه من أرحم الراحمين:

قال تعالى على لسان موسى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ [الأعراف: ١٥١] أي: "اغْفِرْ لِي مَا أَغْلَظْتُ عَلَيْهِ بِهِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ، وَاغْفِرْ لَهُ مَا عَسَاهُ قَصَّرَ فِيهِ مِنْ مُؤَاخَذَةِ الْقَوْمِ، لِمَا تَوَقَّعَهُ مِنَ الْإِيذَاءِ حَتَّى الْقَتْلِ، وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ بِجَعْلِهَا شَامِلَةً لَنَا، وَاجْعَلْنَا مَغْمُورِينَ فِيهَا"(٤).

وليكن شعار المتعاونين في طريق الدعوة: "رب اغفر لأخي إن قَصَّر أو أخطأ".

(١) **في ظلال القرآن** لسيد قطب (٥/ ٢٨).

(٢) **فتح القدير للشوكاني** (٤/٧٥).

(٣) **التحرير والتنوير** لابن عاشور (١٣/ ٥٧).

(٤) **تفسير المنار**، لرشيد رضا (٩/١٨٠).

وقد علَّم الله المؤمنين أن يدعوا لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان، وألا يجعل في قلوبهم غلًّا للذين آمنوا، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

قال القرطبي رحمه الله: "هي عامة في جميع التابعين والآتين بعدهم إلى يوم الدين"(١)؛ فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة، كما يذكر أخاه الحي، أو أشد، في إعزاز وكرامة وحب. ويحسب السلف حساب الخلف، ويمضي الخلف على آثار السلف صفًّا واحدًا وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان، تحت راية الله تغذ السير صعدًا إلى الأفق الكريم، متطلعة إلى ربها الواحد الرءوف الرحيم(٢).

النبي ﷺ يُربي الصحابة ﷺ على الدعاء لبعضهم بظهر الغيب:

ربى النبي ﷺ صحابته على ما يُغَذِّي إخوتهم، ويصون علاقتهم؛ فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ**»(٣). ودعاء الأخ فِي غَيْبَة أخيه، وَفِي سِرّه؛ أَبْلَغ فِي الْإِخْلَاص.

وَكَانَ بَعْض السَّلَف إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُو لِنَفْسِهِ يَدْعُو لِأَخِيهِ الْمُسْلِم بِتِلْكَ الدَّعْوَة؛ لِأَنَّهَا تُسْتَجَاب، وَيَحْصُل لَهُ مِثْلهَا(٤).

وروي عن أبي الدرداء أنه قال: إني لأدعو وأنا ساجد لسبعين أخًا من إخوتي، أسمِّيهم بأسمائهم وأسماء آبائهم(٥).

(١) **تفسير القرطبي** (١٨/ ٣٢).

(٢) **في ظلال القرآن** لسيد قطب (١٦٦/٧).

(٣) **صحيح مسلم**: كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب، (٢٠٩٤/٤)، (٤٩١٢).

(٤) **شرح النووي على مسلم** (٩٦/٩).

(٥) **شرح ابن بطال** (١٢٣/١٩).

المطلب الرابع: معالم في طريق الدعوة:

دعوة موسى وهارون عليهما السلام لفرعون وقومه نموذج

إذا تتبعنا الآيات التي ذُكِر فيها موسى وهارون عليهما السلام في دعوتهما لفرعون وقومه؛ نجد شدة التلازم والتصاحب والاقتران بينهما، وإذا ذُكِّر أحدهما دلَّ على الآخر، وفي طريقهما لدعوة فرعون وقومه بَرزت معالم يحْسُن بالدعاة إلى الله معرفتها والعمل بها:

المَعْلَم الأول: إعداد النفس وتزكيتها قبل الانطلاق في الدعوة إلى الله:

فالإعداد للمهمة الكبرى بوسائل الإعداد الإلهية المضمونة أول خطوة في طريق الدعوة، وهي التزود بالذكر الكثير والتسبيح الكثير، وهما العبادتان اللتان وصفتا بالكثير في القرآن.

وقد بوب البخاري بابًا بعنوان: "**بَاب عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْقِتَالِ**"، وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنَّمَا تُقَاتِلُونَ بِأَعْمَالِكُمْ(١).

ومن وسائل الإعداد الإلهية:

١- التعاون على التسبيح الكثير والذكر الكثير:

قال تعالى على لسان موسى مُعللًا طلباته: ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [طه: ٣٣، ٣٤] فبين عليه السلام أن طَلَبَه مُشاركة أخيه له بحقِّ ربه لا بحظِّ نَفْسِه. "وعلم عليه السلام أن مدار العبادات كلها والدين على ذكر الله، فسأل الله أن يجعل أخاه معه؛ يتساعدان ويتعاونان على البر والتقوى؛ فيكثر منهما ذكر الله من التسبيح والتهليل وغيره من أنواع العبادات"(٢).

"والتسبيح يحتمل أن يكون باللسان وأن يكون بالاعتقاد، وعلى كلا التقديرين فالتسبيح تنزيه الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله عما لا يليق به، وأما الذكر فهو عبارة عن

(١) **صحيح البخاري**: كتاب ا لجهاد والسير، باب: بَاب عَمَلٌ صَالِحٌ قَبْلَ الْقِتَالِ (٣٧٨/٩).

(٢) **تفسير السعدي**: ٥٠٤

وصف الله تعالى بصفات الجلال والكبرياء"[1].

وأمرهما الله ﷻ ألا يفترا، ولا يكسلا عن مداومة ذكره، بل يستمرَّا عليه ويلزماه؛ فإن ذكر الله فيه معونة على جميع الأمور، يسهلها، ويخفف حملها، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾﴾ [طه: ٤٢].

فالأمر الجليل الذي هو مقدمان عليه يحتاج إلى التسبيح الكثير والذكر الكثير.

فإن فَتَرَ الداعية عن ذكر الله، قصَّرَ ولم يستطع الدعوة والمتابعة والمواجهة والمجابهة على ما يقتضيه أمر الله ﷻ.

وذكر الله في طريق الدعوة إلى الله يؤدي وظائف شتَّى:

منها: أنه الاتصال بالقوة التي لا تُغْلَب، والثقة بالله الذي ينصر أولياءه.

ومنها: استحضار حقيقة الدعوة إلى الله وبواعثها وأهدافها، فهي دعوة لله، لتقرير ألوهيته في الأرض، وتحرير الناس من استبداد المستبدين المغتصبين لهذه الألوهية.

ومنها: استحضار أنها دعوة لتكون كلمة الله هي العليا؛ لا للسيطرة، ولا للمغنم، ولا للاستعلاء الشخصي أو الحزبي.

ومنها: اطمئنان القلوب؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

ومنها: تحقق الفلاح؛ كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

٢- التعبئة الروحية والنظامية:

قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [يونس: ٨٧] أي: اتَّخِذُوا لِقَوْمِكُمَا بُيُوتًا فِي مِصْرَ تَكُونُ مَسَاكِنَ وَمَلَاجِئَ يَبُوءُونَ إِلَيْهَا وَيَعْتَصِمُونَ بِهَا. (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) أَيْ: مُتَقَابِلَةً فِي وِجْهَةٍ

(١) **تفسير الرازي**: ١٠/٤٠٢.

وَاحِدَةٍ؛ لِأَنَّ الِاتِّحَادَ فِي الِاتِّجَاهِ يُسَاعِدُ عَلَى اتِّحَادِ الْقُلُوبِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حِكْمَةِ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ: «**وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»(١)، وَحِكْمَةُ هَذَا أَنْ يَكُونُوا مُسْتَعِدِّينَ لِتَبْلِيغِهِمَا إِيَّاهُمْ مَا يُهِمُّهُمْ وَيَعْنِيهِمْ مِمَّا بُعِثَا لِأَجْلِهِ، وَهُوَ إِنْجَاؤُهُمْ مِنْ عَذَابِ فِرْعَوْنَ بِإِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلَادِهِ"(٢).

وقال سيد قطب: "وتلك هي التعبئة الروحية إلى جوار التعبئة النظامية. وهما معًا ضروريتان للأفراد والجماعات، وبخاصة قبيل المعارك والمشقات. وقد يستهين قوم بهذه التعبئة الروحية، ولكن التجارب ما تزال إلى هذه اللحظة تنبئ بأن العقيدة هي السلاح الأول في المعركة، وأن الأداة الحربية في يد الجندي الخائر العقيدة لا تساوي شيئًا كثيرًا في ساعة الشدة.

وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة، ليست خاصة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة. وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة -وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة- وهنا يرشدهم الله اعتزال الجاهلية بنتنها وفسادها وشرها -ما أمكن في ذلك- وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها؛ لتطهرها وتزكيها وتنظمها، حتى يأتي وعد الله لها"(٣).

وقد اتخذ النبي ﷺ من دار الأرقم بن أبي الأرقم مكانًا لتربية أصحابه، وتطهيرهم وتزكيتهم وتنظيمهم حتى كانوا اللبنة الصالحة في تكوين وتمكين الأمة الإسلامية.

المَعْلَمْ الثاني: التعاون في القيام بواجب الدعوة إلى الله:

١- التعاون في حمل الرسالة إلى فرعون وقومه:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥].

(١) **صحيح مسلم**: كتاب: الصلاة، باب: تسوية الصفوف وإقامتها، (١/ ٣٢٣)، (٦٥٤).

(٢) **تفسير المنار** لرشيد رضا (١١/ ٣٨٥).

(٣) **في ظلال القرآن** (١٧٨/٤).

"أرسلنا موسى وأخاه هارون إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بحججنا (فَاسْتَكْبَرُوا) عن اتباعها، والإيمان بما جاءهم به من عند الله، وكانوا قومًا عالين على أهل ناحيتهم، ومن في بلادهم من بني إسرائيل وغيرهم بالظلم، قاهرين لهم"(١).

٢- التعاون في الذهاب لدعوة فرعون وقومه:

أمر الله ﷻ موسى وهارون عليهما السلام أن يذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذَّبوا بدلائل الربوبية والألوهية, فذهبا إليهم، فدَعَوهم إلى الإيمان بالله وطاعته وعدم الإشراك به، فكذَّبوهما، فأهلكهم الله ﷻ إهلاكًا عظيمًا، وفي ذلك تسليةٌ للنبي ﷺ فيما كان يقاسيه من قومه من فنون البلاء، ووَعْدٌ له بالجميل في أنه سَيُهْلك أعداءَه كُلَّهم.

كما قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: ٤٢، ٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾﴾ [الفرقان: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَـٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٥].

وقوله تعالى لموسى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [طه: ٢٤] لا ينافي هذا؛ لأنهما إذا كان مأمورين فكل واحد مأمور.

وهنا تساؤل: لماذا خُصَّ موسى بالخطاب في بعض المواطن؟

قال الشوكاني رحمه الله: "إن تخصيص موسى بالخطاب في بعض المواطن؛ لكونه الأصل في الرسالة، والجمع بينهما في الخطاب لكونهما مُرْسَلين جميعًا"(٢).

التعاون في تبليغ دعوتهما إلى فرعون وقومه:

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَـٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَـٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ [طه: ٤٧]، وقال تعالى ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦].

---

(١) **تفسير الطبري** (١٩/٣٥).

(٢) **فتح القدير** للشوكاني (٥/٢٧٧).

٣- التعاون في أسلوب الدعوة:

أمر الله موسى وهارون أن يقولا لفرعون قولًا لطيفًا لعله يتذكر أو يخاف ربه، كما قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤].

قال ابن كثير رحمه الله: "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين، كما قال يزيد الرقاشي عند قوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾: يا من يتحبب إلى من يعاديه، فكيف بمن يتولاه ويناديه؟[١]

وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ فبكى يحيى، وقال: إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الإله، فكيف رفقك بمن يقول: أنت الإله؟![٢]

والقول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه. فإذا كان موسى أُمِرَ بأن يقول لفرعون قولًا لينًا، فمَن دونه أحرى بأن يقتدى بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه[٣]، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة : ٨٣].

تدل هذه الآية على أن الذين يخاشنون الناس ويبالغون في التعصب، كأنهم على ضد ما أمر الله به أنبياءه ورسله. "فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا يهيج الكبرياء الزائف الذي يعيش به الطغاة. ومن شأنه أن يوقظ القلب؛ فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان. اذهبا إليه غير يائسين من هدايته، راجيين أن يتذكر ويخشى. فالداعية الذي ييأس من اهتداء أحد بدعوته لا يبلغها بحرارة، ولا يثبت عليها في وجه الجحود والإنكار، وإن الله ليعلم ما يكون من فرعون؛ ولكن الأخذ بالأسباب في الدعوات وغيرها لا بدَّ منه[٤].

(١) **تفسير ابن كثير** (٥/٢٩٤).
(٢) **تفسير البغوي** (٥/٢٧٥).
(٣) **تفسير القرطبي** (١١/ ٢٠٠).
(٤) **في ظلال القرآن** (٥/١٢١).

وهنا تساؤل: ماذا لو لَمْ يَنْفَعِ اللِّينُ مَعَ الْمَدْعُو وَأَعْرَضَ وَاسْتَكْبَرَ؟

قال ابن عاشور رحمه الله: "جَازَ للداعي فِي مَوْعِظَتِهِ الْإِغْلَاظُ مَعَهُ[1]؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ مُوسَى: ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ [طه: ٤٨]، وأسلوب اللين ينجع في ابتداء الدعوة وإقامة الحجة؛ أما إذا أعرض المدعو واستكبر فيستخدم معه الإغلاظ، كما قال موسى لفرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا ١٠٢﴾ [الإسراء: ١٠٢]. قال مجاهد: "أي: هالكًا"[2].

محتوى رسالة موسى وهارون عليهما السلام إلى فرعون وقومه:

قال تعالى: ﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡ ٤٧﴾ **[طه: ٤٧]** ابتدءا خِطَابِهِمَا لِفِرْعَوْنَ: "بِأَنْ وَصَفَا اللَّهَ بِصِفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُجَابَهَةً لِفِرْعَوْنَ بِأَنَّهُ مَرْبُوبٌ وَلَيْسَ بِرَبٍّ، وَإِثْبَاتُ رُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَالَمِينَ. وَالنَّفْيُ يَقْتَضِي وَحْدَانِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّ الْعَالَمِينَ شَامِلٌ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ فَيَشْمَلُ مَعْبُودَاتِ الْقِبْطِ كَالشَّمْسِ وَغَيْرِهَا، فَهَذِهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ لِمَا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ يَوْمَئِذٍ.

وَأَرْسِلْ مَعَنا: يَتَضَمَّنُ أَنَّ مُوسَى أَمَرَ بِإِخْرَاجِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بِلَادِ الْفَرَاعِنَةِ لِقَصْدِ تَحْرِيرِهِمْ مِنِ اسْتِعْبَادِ الْمِصْرِيِّينَ"[3]. فقد كانوا أهل دين منذ أبيهم إسرائيل، وهو يعقوب أبو يوسف عليهما السلام، فبهت هذا الدين في نفوسهم، وفسدت عقائدهم، فأرسل الله إليهم موسى لينقذهم من ظلم فرعون ويعيد تربيتهم على دين التوحيد[4].

المَعْلَمْ الثالث: الصبر على الابتلاء في مقام الدعوة إلى الله:

(١) **التحرير والتنوير** لابن عاشور (١٦/ ٢٢٥).

(٢) **تفسير ابن كثير** (٥/ ١٢٦).

(٣) **التحرير والتنوير** لابن عاشور (١٩/ ١١٠).

(٤) **في ظلال القرآن** (٥/ ٣٤١).

إن طريق الدعوة إلى الله شاق، محفوف بالمكاره، والمشقة في هذا الطريق تنشأ من عاملين أساسيين: من التكذيب والإعراض اللذين تقابل بهما الدعوة، والحرب والأذى اللذين يُعْلَنَان على الدعاة، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام: ٣٤].

ومما تعرَّض له موسى وهارون من ابتلاء:

١- اتهام موسى وهارون بالسحر:

اتهم سحرة فرعون موسى وهارون بالسحر، كما قال تعالى﴿قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ [طه: ٦٣].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ [القصص: ٤٨]. قال مجاهد: يعني موسى وهارون عليهما السلام، (تَظَاهَرَا) أي: تعاونا وتناصرا، وصدق كل منهما الآخر. وبهذا قال سعيد بن جبير وأبو رَزِين"[(١)]. قال ابن كثير: وهذا قول جيد قَوِيٌّ.

الاعتراض على بشريتهما والتكذيب بهما:

كذَّبَ فرعون وقومه موسى وهارون واستكبروا عن اتباعهما، والانقياد لأمرهما؛ لكونهما بَشرين كما أنكرت الأمم الماضية بعثة الرسل من البشر، تشابهت قلوبهم، فأهلك الله فرعون وملأه كما حكى عنهم القرآن؛ قال تعالى: ﴿فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون: ٤٨]. فكذّب فرعون وملؤه موسى وهارون، فكانوا ممن أهلَكهم الله كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها[(٢)]. وفِي هَذَا تَعْرِيضٌ بِتَهْدِيدِ قُرَيْشٍ -ومن سار على طريقتهم- عَلَى تكذيبهم رسولهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّ فِي قَوْلِهِ: مِنَ الْمُهْلَكِينَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْإِهْلَاكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ يكذبُون رسله[(٣)].

(١) **تفسير ابن كثير** (٦/ ٢٤٢).

(٢) **تفسير الطبري** (١٩/ ٣٦).

(٣) **التحرير والتنوير** لابن عاشور (١٨/ ٦٥).

٢- الخوف من إيذاء فرعون وتمرده على الحق:

فموسى وهارون خافا أن يعاجلهم فرعون بالعقوبة، أو أن يتمرد على الحق فلا يقبله، فقالا مستجيرين بالله تعالى شاكيَيْن إليه﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾﴾ ، فقال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنع، لست بغافل عنكما فلا تهتما[١]، فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه، وأرى مكانكما ومكانه، لا يخفى عليَّ من أمركم شيء، واعلما أن ناصيته بيدي، فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذني وبعد أمري، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأييدي[٢].

فما يكون فرعون وما يملك وما يصنع حين يفرط أو يطغى؟ والله معهما يسمع ويرى؟

المَعْلَمْ الرابع: المشاركة في اجتناء ثمار الدعوة:

البشارة بالغلبة بالحجة والبرهان:

قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٥]. فالآية: "تبشير لهما، وتقوية لقلوبهما"[٣]، بالغلبة بالحجة والبرهان. وهذا وعد لموسى في ذلك الوقت، وهو وحده فريد، وقد رجع إلى بلده، بعد ما كان شريدًا، فلم تزل الأحوال تتطور، والأمور تنتقل، حتى أنجز الله له موعوده، ومكنه من العباد والبلاد، وصار له ولأتباعه، الغلبة والظهور[٤].

إيمان السحرة بدعوتهما:

---

(١) **تفسير النسفي** (٢/ ٢٩٧).

(٢) **تفسير ابن كثير** (٥/ ٢٩٦).

(٣) **فتح القدير** للشوكاني (٥/ ٤٠٥).

(٤) **تفسير السعدي**: ٦١٥.

قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾﴾ [طه: ٧٠].

وقال على لسان السحرة: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢٢]، وقالوا: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الشعراء: ٤٨].

إهلاك فرعون والملأ الذين معه استجابة لدعاء موسى وهارون:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٨، ٨٩].

قال ابن كثير: "هذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام غضبًا لله ولدينه على فرعون وملئه، الذين تبين له أنه لا خير فيهم، ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح عليه السلام فقال: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧] ولهذا استجاب الله تعالى لموسى عليه السلام فيهم هذه الدعوة، التي أَمَّنَ عليها أخوه هارون، فقال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾، قال عكرمة وغيره: دعا موسى وأمَّنَ هارون، أي: قد أجبناكما فيما سألتما من تدمير آل فرعون(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان موسى بن عمران عليه السلام إذا دعا أَمَّنَ هارون عليه السلام على دعائه(٢).

قال القرطبي: قد استشكل بعض الناس هذه الآية فقال: كيف دعا عليهم وحكم الرسل استدعاء إيمان قومهم؟

فالجواب: أنه لا يجوز أن يدعو نبي على قومه إلا بإذن من الله، وإعلام أنه ليس فيهم من يؤمن ولا يخرج من أصلابهم من يؤمن، دليله قوله لنوح عليه السلام: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، وعند ذلك قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾

(١) **تفسير ابن كثير** (٤/ ٢٩١).

(٢) **مصنف عبد الرزاق** (٢/ ٩٩).

[نوح: ٢٦].

المَعْلَمْ الخامس: التعاون في الجهاد بعد نكول بني إسرائيل عن الجهاد:

قال تعالى ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥﴾ [المائدة: ٢٥].

لما نكل بنو إسرائيل عن القتال غضب عليهم موسى عليه السلام، وقال داعيًا عليهم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِي﴾ أي: ليس أحد يطيعني منهم فيمتثل أمر الله، ويجيب إلى ما دعوت إليه إلا أنا وأخي هارون، ﴿فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ قال ابن عباس: يعني اقض بيني وبينهم[(١)].

وقال سيد قطب: دعوة فيها الألم. وفيها الالتجاء. وفيها الاستسلام. وفيها –بعد ذلك– المفاصلة والحسم والتصميم! وإنه ليعلم أن ربه يعلم أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه.. ولكن موسى في ضعف الإنسان المخذول، وفي إيمان النبي الكليم، وفي عزم المؤمن المستقيم، لا يجد متوجهًا إلا الله. يشكو له بثه ونجواه، ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين القوم الفاسقين، فما يربطه بهم شيء بعد النكول عن ميثاق الله الوثيق .. ما يربطه بهم نسب، وما يربطه بهم تاريخ، وما يربطه بهم جهد سابق؛ إنما تربطه بهم هذه الدعوة إلى الله، وهذا الميثاق مع الله وقد فصلوه، فانبت ما بينه وبينهم إلى الأعماق، وما عاد يربطه بهم رباط .. إنه مستقيم على عهد الله وهم فاسقون.. إنه مستمسك بميثاق الله وهم ناكصون.. هذا هو أدب النبي. وهذه هي خطة المؤمن. وهذه هي الآصرة التي يجتمع عليها أو يتفرق المؤمنون .. لا جنس. لا نسب. لا قوم. لا لغة. لا تاريخ. لا وشيجة من كل وشائج الأرض؛ إذا انقطعت وشيجة العقيدة؛ وإذا اختلف المنهج والطريق[(٢)].

(١) **تفسير ابن كثير** (٣/ ٧٩).

(٢) **في ظلال القرآن** (٢/ ٣٤٦).

فعند تخلي الاتباع عن الدعاة والمصلحين ينبغي عليهم أن يسيروا على ما عاهدوا الله عليه من نصرة الدين، ولوا انفردوا كما قال تعالى: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤] قال القرطبي رحمه الله: ينبغي لكل مؤمن أن يجاهد ولو وحده، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ**[(١)] **سَالِفَتِي**»[(٢)]. وقول أبي بكر وقت الردة: ولو خالفتني يميني لجاهدتها بشمالي[(٣)].

وعي الصحابة ﷺ لدرس نكول بني إسرائيل عن الجهاد:

قال ابن القيم رحمه الله: "لَمّا بَلَغَ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ خُرُوجُ قُرَيْشٍ، اسْتَشَارَ أَصْحَابَهُ فَتَكَلّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا، ثُمّ اسْتَشَارَهُمْ ثَانِيًا، فَتَكَلّمَ الْمُهَاجِرُونَ فَأَحْسَنُوا، ثُمّ اسْتَشَارَهُمْ ثَالِثًا، فعلم الْأَنْصَارُ أَنّهُ يَعْنِيهِمْ فَبَادَرَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ، كَأَنّك تُعَرّضُ بِنَا؟ وَكَانَ إنّمَا يَعْنِيهِمْ لِأَنّهُمْ بَايَعُوهُ عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ مِنْ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ فِي دِيَارِهِمْ، فَلَمّا عَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ اسْتَشَارَهُمْ لِيَعْلَمَ مَا عِنْدَهُمْ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: لَعَلّكَ تَخْشَى أَنْ تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى حَقًّا عَلَيْهَا أَنْ لَا يَنْصُرُوك إلّا فِي دِيَارِهَا، وَإِنّي أَقُولُ عَنْ الْأَنْصَارِ، وَأُجِيبُ عَنْهُمْ، فَاظْعَنْ حَيْثُ شِئْت، وَصِلْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ وَاقْطَعْ حَبْلَ مَنْ شِئْتَ، وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا مَا شِئْتَ، وَأَعْطِنَا مَا شِئْتَ، وَمَا أَخَذْتَ مِنّا كَانَ أَحَبّ إلَيْنَا مِمّا تَرَكْتَ، وَمَا أَمَرْتَ فِيهِ مِنْ أَمْرٍ فَأَمْرُنَا تَبَعٌ لِأَمْرِكَ، فَوَاَللهِ لَئِنْ سِرْتَ حَتّى تَبْلُغَ الْبَرْكَ مِنْ غِمْدَانَ لَنَسِيرَنّ مَعَكَ، وَوَاللهِ لَئِنْ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ خُضْنَاهُ مَعَكَ"[(٤)].

ثم قام المقداد بن عمر –وقال ما رواه لنا البخاري عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ– قَالَ:

(١) أي: حتى أموت. والسالفة: صفحة العنق، وكنى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا به.

(٢) **صحيح البخاري**: كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة، (٣/ ١٩٣)، (٢٥٢٩).

(٣) **تفسير القرطبي** (٢٩٣/٥).

(٤) **زاد المعاد** لابن القيم (٣/ ١٥٣).

سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنْ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ: لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾ وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ؛ يَعْنِي قَوْلَهُ[1].

وهكذا يجب أن يكون المعينون في طريق الدعوة؛ كمال الطاعة مع سرعة الاستجابة.

المطلب الخامس: مقومات الإعانة في طريق الدعوة:

(**قَوَمَ**) الْقَافُ وَالْوَاوُ وَالْمِيمُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدَهُمَا عَلَى جَمَاعَةِ نَاسٍ، وَرُبَّمَا اسْتُعِيرَ فِي غَيْرِهِمْ. وَالْآخَرُ عَلَى انْتِصَابٍ أَوْ عَزْمٍ[2].

وقِوَام الأمْرِ بالكسر: نِظامُه وعِمادُه، **وقِوام الأمر** أيضًا: مِلاَكه الذي يقوم به[3].

ونعني بمقومات الإعانة في طريق الدعوة: أي: عماد الإعانة في طريق الدعوة وما تقوم به.

أولًا: الأخوة:

اقترن اسم موسى عليه السلام بأخيه هارون عليه السلام فيما يقرب من خمسة عشرة موضعًا في القرآن تصريحًا وتلميحًا؛ وذلك لشدة التصاحب والتلازم بينهما، ولوحدة الرسالة التي بُعِثا بها.

قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣]. وَمَعْنَى هِبَةِ أَخِيهِ لَهُ: أَنَّ اللَّهَ عَزَّزَهُ بِهِ وَأَعَانَهُ بِهِ، إِذْ جَعَلَهُ نَبِيًّا وَأَمَرَهُ أَنْ يُرَافِقَهُ فِي الدَّعْوَةِ؛ لِأَنَّ فِي لِسَانِ مُوسَى حُبْسَةً،

(١) **صحيح البخاري**: كتاب: المغازي، باب: قوله تعالى: {إذ تستغيثون ربكم} (٥/٧٣)، (٣٦٥٨).

(٢) **مقاييس اللغة** لابن فارس (٥/ ٤٣).

(٣) **لسان العرب** (١/ ٢٦٥).

وَكَانَ هَارُونُ فَصِيح اللِّسَانِ، فَكَانَ يَتَكَلَّمُ عَنْ مُوسَى بِمَا يُرِيدُ إِبْلَاغَهُ، وَكَانَ يَسْتَخْلِفُهُ فِي مُهِمَّاتِ الْأُمَّةِ. وَإِنَّمَا جُعِلَتْ تِلْكَ الْهِبَةُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ رَحِمَ مُوسَى إِذْ يَسَّرَ لَهُ أَخًا فَصِيحَ اللِّسَان، وأكمله بالإنباء حَتَّى يَعْلَمَ مُرَادَ مُوسَى مِمَّا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى[١].

قال– أيضًا– في سبب اختيار موسى أخاه: فَكَوْنُهُ مِنْ أَهْلِهِ مَظِنَّةُ النُّصْحِ لَهُ، وَكَوْنُهُ أَخَاهُ أَقْوَى فِي الْمُنَاصَحَةِ، وَكَوْنُهُ الْأَخَ الْخَاصَّ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ عِنْدَهُ بِأَصَالَةِ الرَّأْيِ[٢].

فالأخ المعين رحمة من الله ﷻ لأخيه في طريق الدعوة إلى الله، فليصونها ولا يعرضها للضعف أو الزوال بالتقصير في حق الله ﷻ الغفار.

ثانيًا: الثقة:

(وَثَقَ) الْوَاوُ وَالثَّاءُ وَالْقَافُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى عَقْدٍ وَإِحْكَامٍ. وَوَثَّقْتُ الشَّيْءَ: أَحْكَمْتُهُ[٣].

ووثِقْتُ بفلان أَثِقُ، ثقةً: إذا ائتمنته[٤]، **ووَثُقَ الشَّيْءُ** بِالضَّمِّ وَثَاقَةً قَوِيَ وَثَبَتَ فَهُوَ وَثِيقٌ ثَابِتٌ مُحْكَمٌ[٥].

ونقصد بالثقة: اطمئنان الأخ إلى أخيه المعين في أمانته، وتقويته وتثبيته له فيما تعاهدا عليه من العمل في طريق الدعوة.

قال صاحب المنار رحمه الله عن ثقة موسى بهارون عليهما السلام: "وَأَمَّا ثِقَتُهُ بِأَخِيهِ فَلِعِلْمِهِ الْيَقِينِيِّ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى أَيَّدَهُ بِمِثْلِ مَا أَيَّدَهُ بِهِ، وَلَوْ لَمْ يَعْلَمْ هَذَا بِإِعْلَامِ اللهِ وَوَحْيِهِ، وَمَا يَجِدُهُ مِنَ الْوِجْدَانِ الضَّرُورِيِّ فِي نَفْسِهِ لَكَانَ بَلَاؤُهُ مَعَهُ فِي مُقَاوَمَةِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، ثُمَّ فِي سِيَاسَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مَعَهُ، وَفِي حَالِ انْصِرَافِهِ لِمُنَاجَاةِ رَبِّهِ مَا يَكْفِي لِلثِّقَةِ التَّامَّةِ"[٦].

(١) **التحرير والتنوير** (١٦ / ١٢٩).
(٢) المرجع السابق (٣/ ٢١٢).
(٣) **مقاييس اللغة** لابن فارس (٦/٨٥).
(٤) **الصحاح في اللغة** (٢/ ٢٦٦).
(٥) **المصباح المنير** (١٠/ ٢٤٩).
(٦) **تفسير المنار** (٦/ ٢٧٧).

وقال ابن عاشور رحمه الله عن اختصاص موسى عليه السلام هارون عليه السلام بالاختيار: "وَخَصَّ هَارُونَ لِفَرْطِ ثِقَتِهِ بِهِ"(١).

فكان اطمئنان موسى عليه السلام إلى أمانة أخيه هارون عليه السلام وتقويته وتثبيته في بلائه في مقاومة فرعون وقومه ما يكفي لثقته التامة بأخيه.

وهذا ما يجب أن يتوافر بين الأخوة المعينة في طريق الدعوة.

ثالثًا: الطاعة: (طَوَعَ) الطَّاءُ وَالْوَاوُ وَالْعَيْنُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِصْحَابِ وَالِانْقِيَادِ؛ يُقَالُ: طَاعَهُ يَطُوعُهُ، إِذَا انْقَادَ مَعَهُ وَمَضَى لِأَمْرِهِ(٢).

وفلانٌ طَوْعُ يديك، أي منقادٌ لك، والمطاوعةُ: الموافقَةُ(٣).

ونعني بالطاعة: انقياد الأخ المعين لأخيه المعان وموافقته له في كل ما يُقْدِم عليه من طاعة ربه ورضاه في طريق الدعوة إلى الله، فإنما «الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»(٤).

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن علاقة هارون بموسى عليهما السلام: "وكان هارون هائبًا له مطيعًا"(٥).

وقال ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة: ٢٥] لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَى التَّصَرُّفِ فِي أَخِيهِ؛ لِطَاعَتِهِ لَهُ جَعَلَ ذَلِكَ مِلْكًا لَهُ(٦).

ونخلص أن عماد الإعانة في طريق الدعوة الأخوة، فإذا مُتِّنَت، قويت الثقة والموافقة، وإذا قويت الثقة والموافقة، سهُلَت الطاعة والانقياد بين المتعاونين في طريق الدعوة.

---

(١) **التحرير والتنوير** (١٦/ ٢١٢).

(٢) **مقاييس اللغة** لابن فارس (٤٣١/٣).

(٣) **الصحاح في اللغة** (١/ ٤٣٢).

(٤) **صحيح البخاري:** كتاب الحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، (٩/ ٦٣)، (٦٦١٢).

(٥) **تفسير ابن كثير** (٣١٢/٥).

(٦) **مجموع الفتاوى** (١٦/٨).

المطلب السادس: ثمار الأخوة المعينة في طريق الدعوة:

إذا رُوِيّت شجرة الأخوة المعُينة بطاعة الله ﷻ؛ أثمرت ثمارًا يانعة، وآتت أُكُلَها كل حين بإذن ربها.

ومن هذه الثمار:

أولًا: التناوب في الدعوة:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: ١٤٢].

المعنى: وقال موسى حين أراد المضي للمناجاة والمغيب فيها لأخيه هارون: كن خليفتي؛ **فدل على النيابة**(١).

وقال ابن عاشور: "وفِي التَّعَاوُنِ عَلَى أَدَاءِ الرِّسَالَةِ تَقْلِيلٌ مِنَ الِاشْتِغَالِ بِضَرُورَاتِ الْحَيَاةِ؛ إِذْ يُمْكِنُ أَنْ يَقْتَسِمَا الْعَمَلَ الضَّرُورِيَّ لِحَيَاتِهِمَا فَيَقِلُّ زَمَنُ اشْتِغَالِهِمَا بِالضَّرُورِيَّاتِ، وَتَتَوَفَّرُ الْأَوْقَاتُ لِأَدَاءِ الرِّسَالَةِ. وَتِلْكَ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ لِكِلَيْهِمَا فِي التَّبْلِيغِ"(٢).

ومعنى (اخْلُفْنِي) استبد بالأمر وذلك في حياته؛ إذ راح إلى مناجاة ربه، وليس المعنى أنك تكون خليفتي بعد موتي، ألا ترى أن هارون عليه السلام مات قبل موسى عليهما السلام، وليس في قول الرسول ﷺ لعليٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»(٣)، دليل على أنه خليفته بعد موته إذ لم يكن هارون خليفة بعد موت موسى؛ وإنما استخلف الرسول عليًّا على أهل بيته؛ إذ سافر الرسول ﷺ في بعض مغازيه كما استخلف ابن أم مكتوم على المدينة، فلم يكن في ذلك دليل على أنه يكون خليفة بعد موت

(١) **تفسير القرطبي** (٧/ ٢٧٧).

(٢) **التحرير والتنوير** لابن عاشور (٢١٤/١٦).

(٣) **صحيح مسلم**: كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب، (٤/ ١٨٧٠)، (٤٤١٨).

الرسول[1].

ثانيًا: المشاركة في الثواب في حالة الاستغناء عن أحدهما في وقت دون وقت:

قال فرعون لموسى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طه: ٤٩].

قال القرطبي: قيل: خصصه بالذكر؛ لأنه صاحب الرسالة والكلام والآية.

وقيل إنهما جميعًا بلغا الرسالة وإن كان ساكتًا؛ لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحد، فإذا انقطع وازره الآخر وأيده.

فصار لنا في هذا البناء فائدة علم أن الاثنين إذا قلدا أمرًا فقام به أحدهما، والآخر شخصه هناك موجود مُسْتَغْنى عنه في وقت دون وقت، أنهما أديا الأمر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ **[طه: ٤٣]** وقال: ﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ وقال: ﴿فَقُولَا لَهُ﴾ فأمرهما جميعًا بالذهاب وبالقول، ثم أعلمنا في وقت الخطاب بقوله: ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ أنه كان حاضرًا مع موسى[2].

ثالثًا: التصديق بالاثنين المجتمعين أسكن من خبر الواحد:

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص: ٣٤]. "الاثنين إذا اجتمعا على الخير، كانت النفس إلى تصديقهما أسكن منها إلى تصديق خبر الواحد"[3].

رابعًا: المنعة والنُّصْرة:

طلب موسى من ربه أن يرسل له مؤازرًا فوهبه الله أخاه هارون نبيًّا يؤيده ويؤازره؛ كما قال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣].

وكان الرسول ﷺ يعرض نفسه على القبائل ليجد من يمنعه ويؤازره وينصره كما ورد

(١) **البحر المحيط** لأبي حيان (٥/٤٣٩).

(٢) **تفسير القرطبي** (١١/ ٢٠٤).

(٣) **تفسير الطبري** (١٩/ ٥٧٧).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوْقِفِ فَقَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَحْمِلُنِي إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُونِي أَنْ أُبَلِّغَ كَلَامَ رَبِّي**»(١).

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: مَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَتْبَعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ بعُكَاظٍ وَمَجَنَّةَ وَفِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟**»(٢).

"فقيَّض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة، فبايعوه ووازروه، وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم، فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وَفَوا له بما عاهدوا الله عليه؛ ولهذا سماهم الله ورسوله: الأنصار، وصار ذلك علمًا عليهم، رضي الله عنهم وأرضاهم"(٣).

المطلب السابع: محاذير في طريق الأخوة المُعينة في طريق الدعوة:

يتحقق باتفاق الأخوة المعينة ومحبتهم وألفتهم، مصالح كثيرة للإسلام والمسلمين، يجب عليهم أن يحافظوا على هذا الاتفاق ويصونه من أي عقبة تقابله، وأي محذور يتهدده؛ ومن هذه المحاذير:

أولًا: الحذر من أن يكون الاجتهاد المرجوح سببًا للافتراق بعد الاتفاق:

لما غاب موسى عن قومه لبضعة أسابيع واستخلف عليهم هارون، سرعان ما جنح أكثرهم إلى الشرك والانحراف ومعصية النبي الغائب عنهم والنبي الحاضر فيهم.

وكان على هارون أن يواجه الموقف ويجتهد له اجتهاده ويسوسه بسياسته، على

(١) **سنن أبي داود:** بَاب فِي الْقُرْآنِ (٤٧٣٤)، قال الألباني: صحيح، انظر: **السلسلة الصحيحة** (٥٩١/٤).

(٢) **مسند أحمد:** مسند جابر بن عبد الله، (١٣٩٣٤)، قال محققوه: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) **تفسير ابن كثير** (١١٣/٨).

الأقل إلى حين عودة موسى.

وعامة المفسرين على أنه كان أمام خيارين:

أحدهما: يمثل الصرامة المبدئية؛ وهو أن يواجه المفسدين والمنحرفين، مستعينًا بمن بقي معه من المؤمنين الصالحين، وهو خيار يمكن أن يصل إلى حد الاقتتال، مع ما في ذلك من تعميق العداوة والفرقة، وقد كاد المفسدون أن يقتلوا هارون نفسه لمجرد إنكاره عليهم!

والخيار الثاني: الذي كان أمامه هو الليونة والمسايسة إلى حين عودة موسى، وفي هذا الخيار المؤقت حفظ للجماعة وحقن لدمائها.

وقد اختار هارون المسلك الثاني، وهو الاختيار الذي أغضب موسى قبل أن يشرح له هارون ملابسات هذا الاجتهاد وحكمته، كما جاء في قوله في سورة الأعراف: ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وقوله في سورة طه: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤].

ويلاحظ أن القرآن الكريم لم يخطّئ هارون في اجتهاده وسياسته، ولا موسى في غضبه واحتجاجه عليه ولومه إياه.

والذي يبدو –والله أعلم– أن كلًّا منهما قد فعل ما كان ضروريًّا في حقه، فهارون حافظ على قومه وجماعته من الاقتتال وتعميق الفرقة والعداوة، بنوع من المهادنة المؤقتة لأهل الباطل "**عبدة العجل**"، وموسى غضب واحتج وواجه المبطلين؛ غيرة على الدين وذبًّا عن التوحيد، تصحيحًا وتثبيتًا للمبادئ والأصول، خاصة أنه كان الأعلى مكانة والأنفذ كلمة في قومه.

وهذا الاجتهاد يؤكد "**أن الاجتماع على المرجوح خير من الافتراق على الراجح**" لأن الاجتماع هو الطريق للوصول إلى الراجح بعد ذلك، وأن الاجتماع مقصد من مقاصد الشريعة.

ونلاحظ أن موسى لم يفترق عن أخيه المعين باجتهاده المرجوح؛ بل أعان أخاه على سياسة بني إسرائيل لتبلغيهم رسالة ربهم.

ثانيًا: الحذر من أن تكون الصفات الشخصية سببًا في الافتراق بعد الاتفاق:

نلاحظ تصوير القرآن لغضب موسى عليه السلام، وكأن الغضب هو المهيج له كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأعراف: ١٥٤].

قال صاحب الظلال: "التعبير القرآني يشخص الغضب فكأنما هو حي، وكأنما هو مسلط على موسى، يدفعه ويحركه"(١).

"وفي هذا النظم الكريمِ من البلاغة والمبالغةِ بتنزيل الغضبِ الحاملِ له على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلةَ الآمرِ بذلك المغري عليه بالتحكم والتشديد"(٢).

فيُحْتَمَل من الفاضل ما لا يُحتمل من غيره.

قال ابن القيم رحمه الله: "يُعْفَى للمحب ولصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، ويسامح بما لا يسامح به غيره، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: انظر إلى موسى عليه السلام رمى الألواح التي فيها كلام الله الذي كتبه بيده فكسرها، وجر بلحية نبي مثله وهو هارون، ولطم عين ملك الموت ففقأها، وعاتب ربه ليلة الإسراء في مُحَمَّد ورفعه عليه، وربه تعالى يحتمل له ذلك ويحبه ويكرمه ويُدَلِّله؛ لأنه قام لله تلك المقامات العظيمة في مقابلة أعدى عدو له، وصدع بأمره، وعالج أمتي القبط وبني إسرائيل أشد المعالجة؛ فكانت هذه الأمور كالشعرة في البحر، وانظر إلى يونس بن متى حيث لم يكن له هذه المقامات التي لموسى غاضب ربه مرة؛ فأخذه وسجنه في بطن الحوت ولم يحتمل له ما احتمل لموسى، وفرق بين من إذا أتى بذنب واحد ولم يكن له من الإحسان والمحاسن ما يشفع له، وبين من إذا أتى بذنب جاءت محاسنه بكل شفيع كما قيل:

(١) **في ظلال القرآن** (٣/ ٢٩٨).

(٢) **تفسير أبي السعود** (٣/ ٤٦).

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع[١]

فاتباع منهجية إقالة العثرات للفضلاء من محاسن الشريعة كما ورد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ**»[٢]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَقَالَ عَثْرَةً أَقَالَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: "وإقالة ذوي الهيئات باب من أبواب محاسن الشريعة الكاملة وسياستها للعالم، وانتظامها لمصالح العباد في المعاش والمعاد"[٤].

ثالثًا: الحذر من تشميت الأعداء عند حدوث الاختلاف:

يستجيش هارون عليه السلام وجدان الأخوة الناصرة المعينة، حين يكون هناك الأعداء الذين يشمتون فيقول: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

الشماتة: السرور من الأعداء بما يصيب من يعادونه مع المصائب.

ومن سنته ﷺ الاستعاذة بالله من شماتة الأعداء:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ **شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ**، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ[٥].

وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ»[٦].

---

(١) **مدارج السالكين** لابن القيم (١/ ٣٢٨).

(٢) **سنن أبي داود:** في الحد يشفع فيه، (٣٨٠٣)، قال الألباني: صحيح، انظر: **صحيح الجامع الصغير وزيادته** (١/ ٢٦٠)، (١١٨٠).

(٣) **مسند أحمد:** مسند أبي هريرة، (٧١٢٢)، قال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٤) **بدائع الفوائد** لابن القيم (١٣٩/٣).

(٥) **صحيح مسلم:** كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَاب فِي التَّعَوُّذِ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَغَيْرِهِ، (٢٠٨٠/٤)، (٤٨٨٠).

(٦) **سنن النسائي:** الاستعاذة من شماتة الأعداء، (٨/ ٢٦٨)، (٥٣٩٣)، قال الألباني: صحيح، انظر: =

قَالَ النَّوَوِيُّ: شَمَاتَة الْأَعْدَاء فَرَحهمْ بِبَلِيَّةٍ تَنْزِل بِالْمُعَادِي. وفِي الْحَدِيث دَلَالَة لِاسْتِحْبَابِ الِاسْتِعَاذَة مِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَأَجْمَعَ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاء فِي جَمِيع الْأَعْصَار وَالْأَمْصَار، فَائِدَة الِاسْتِعَاذَة وَالدُّعَاء إِظْهَار الْعَبْد فَاقَته لِرَبِّهِ وَتَضَرُّعه إِلَيْهِ [(١)].

قال بعض الكاملين: إنما حسن الدعاء بدفع شماتة الأعداء؛ لأن من له صيت عند الناس وتأمل؛ وجد نفسه بينهم كبهلوان يمشي على حبل عال بقبقاب، وجميع الأقران والحساد واقفون ينتظرون متى يزلق فيشمتون به، ومن أشق ما على الزالق أن يغلب عليه رعاية مقامه عند الخلق، فإنه يذوب قهرًا بخلاف من يراعي الحق، فإن الأذى يخف عليه ولو أظهروا كلهم الشماتة؛ فلذلك خف على العارف أمر شماتة عدوه وثقل على المحجوب[(٢)].

تحذير الرسول ﷺ من الشماتة بالأخ:

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ**»[(٣)].

"ويحتمل أن يريد أن تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا من ذنبه وأشد من معصيته؛ لما فيه من صولة الطاعة وتزكية النفس وشكرها والمناداة عليها بالبراءة من الذنب، وأن أخاك باء به، ولعل كسرته بذنبه وما أحدث له من الذلة والخضوع والإزراء على نفسه والتخلص من مرض الدعوى والكبر والعجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع الطرف، منكسر القلب -أنفع له وخير من صولة طاعتك وتكثرك بها والاعتداد بها والمنة على الله وخلقه بها، فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله، وما أقرب هذا المدل من مقت الله، فذنب تذل به لديه أحب إليه من طاعة تدل بها عليه، وإنك إن تبيت نائمًا وتصبح نادمًا خير من أن تبيت

=

السلسلة الصحيحة (١٢٩٦).

(١) **شرح النووي على مسلم** (١٢٤/١٨).

(٢) **فيض القدير** (١٨٦/٢).

(٣) **سنن الترمذي** (٤٦/٩)، (٢٤٣٠). حديث حسن غريب.

قائمًا وتصبح معجبًا؛ فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلًا هو فيك ولا تشعر"[1].

رابعًا: الحذر من تعامل الأخوة المُعينة كأقران:

أرسل الله هارون نبيًّا كما أرسل موسى نبيًّا؛ كما قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ٥٣]، فهما نبيان، لكن نجد في المعاملة احترام هارون الشديد لأخيه موسى، وطاعته له، بالرغم من أن هارون أكبر سنًّا من موسى؛ لكن كان له كما قال ابن عباس: "**وكان هارون هائبًا له مطيعًا**"[2].

خامسًا: الحذر من التسرع في الحكم قبل التثبت والتبين:

فموسى عليه السلام تسرع في حكمه على أخيه هارون عليه السلام أن يكون قد قَصَّر في نهيهم، وأقام معهم ولم يبالغ في منعهم والإنكار عليهم، واعتبر موسى عليه السلام ذلك عصيانًا له ومخالفة لأمره، قبل أن يسمع وجهة نظره في عدم اللحاق به مع من آمن من قومه، كما قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾﴾ [طه: ٩٢، ٩٣].

وأنه خشي إن هو عالج الأمر بالعنف أن يتفرق بنو إسرائيل شيعًا، بعضها مع العجل، وبعضها مع نصيحة هارون. وقد أمره بأن يحافظ على بني إسرائيل ولا يحدث فيهم أمرًا، كما قال تعالى على لسان هارون عليه السلام: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾﴾ [طه: ٩٤].

فيجب على الأخوة المعينة في طريق الدعوة التثبت والتبين قبل الحكم، وهذا أدب قرآني حث الله المؤمنين عليه كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟

(١) **مدارج السالكين** لابن القيم (١/ ١٧٧).
(٢) **تفسير ابن كثير** (٣١٢/٥).

﴿قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات: ٦].

فالأصل في مجتمع الدعاة أن يكون أفراده موضع ثقة، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذًا بها. فأما الفاسق فهو موضع الشك حتى يثبت خبره.

سادسًا: الحذر من العتاب عند تقديم الاعتذار:

لما قدم هارون اعتذاره لأخيه موسى عليهما السلام كما قال الله على لسانه: ﴿إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى﴾ [طه: ٩٤]. لم يُعاتبه موسى عليه السلام، ولكن دعا له بالمغفرة: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

وهذا أدب قرآني نتعلمه.

وقد فعل ذلك يوسف عليه السلام عندما اعتذر له إخوته: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾ [يوسف: ٩١]. فقال لهم يوسف: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢] أي: لا تأنيب عليكم، ولا عَتْب عليكم اليوم، ولا أعيد ذنبكم في حقي بعد اليوم[1]؛ فقد انتهى الأمر من نفسي ولم تعد له جذور. وهذا من شيم الكرام.

وبهذا أكون انتهيت من البحث، نسأل الله القبول الحسن.

(١) **تفسير ابن كثير** (٤/ ٤٠٨).

الخاتمة والتوصيات

الحمد لله الذي وفقني في هذا البحث ونسأله القبول الحسن.

ومن النتائج التي توصلتُ إليها في البحث:

١- أن طلب المعين سنة إلهية في الأنبياء وورثتهم.

٢- أن من صفات المعين حسن البيان في مقام الدعوة، والقرابة، والرفق واللين، وطلب الرحمة لنفسه وللمُعَان.

٣- أن نبوة موسى وهارون عليهما السلام حوت معالم في طريق الدعوة يحسن الوقوف عليها للأخوة المعينة.

٤- من مقومات الأخوة المعينة: الأخوة والثقة والطاعة.

٥- للأخوة المعينة في طريق الدعوة محاذير يجب التوقي منها.

وبعد .. فهذا بحثي قد تمَّ بحمد الله ومنته وكرمه، أضعه بين يدي قارئه، ولا أدعي الكمال فيه:

وما بها من خطأ ومن خَلَلٍ أَذنتُ في إصلاحه لمن فعل
لكن بشرط العلمِ والإنصافِ فذا وذا مِن أجمل الأوصاف
والله يهدي سبل السلامِ سبحانه بحبله اعتصامي[1]

وكما قيل:

والنقصُ في أصل الطبيعةِ كامنٌ فبنو الطبيعةِ نقصُهم لا يُجْحَدُ

فلله الحمد على ما منَّ به عليَّ أولًا وآخرًا، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعل هذا البحث لوجهه خالصًا، ولعباده نافعًا، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن ينفعنا بما كتبنا وقرأنا وسمعنا.

(١) **اقتباس من منظومة ابن عاصم**، ص١٢.

﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[1].

وأوصي: العلماء بالتعاون والاتفاق على العدل والإنصاف فيما بينهم، والقيام بنواميس الشريعة، والصدع بالحق عند السلطان، وإظهار السنن وإخماد البدع، والقيام لله في أمور الدين ومصالح المسلمين، وتحمل الأذى المترتب على ذلك، ولا يرضون من فعالهم الظاهرة والباطنة بالجائز، بل يأخذون بأحسنها وأكملها، فإنهم القدوة والمرجع في الأحكام وحجة الله على العوام.

(١) سورة الصافات، الآيات (١٨٠-١٨٢).

المراجع والمصادر

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: المراجع:

١.	**ابن الأثير**، مجد الدين أبو السعادات، ت: بدون، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود مُحَمَّد الطناجي، بيروت، لبنان، المكتبة العلمية.
٢.	**ابن القيم**، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (١٣٩٢هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، بيروت، دار الكتاب العربي.
٣.	**ابن القيم**، مُحَمَّد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م)، **بدائع الفوائد**، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا- عادل عبد الحميد العدوي، ط: الأولى، مكة المكرمة، مكتبة نزار مصطفى الباز.
٤.	**ابن القيم**، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (١٣٩٨هـ)، **التفسير القيم**، تحقيق: حامد الفقي، ط: بدون، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
٥.	**ابن القيم**، مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط: الثالثة، بيروت- لبنان، مؤسسة الرسالة.
٦.	**ابن بطال**، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، **شرح ابن بطال على صحيح البخاري**، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الطبعة: الثانية، دار النشر: السعودية- الرياض، مكتبة الرشد.
٧.	**ابن تيمية**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، **مجموع الفتاوى**، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، ط: الأولى، السعودية،

	مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية.
٨.	**ابن حجر**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، (١٤١١هـ-١٩٩٠م)، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، تصحيح وتعقيب: عبد العزيز ابن باز، بيروت- لبنان، دار الفكر.
٩.	**ابن حنبل**، أحمد بن جلال بن أسد الشيباني، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، **المسند**، ط: الرابعة، بيروت- لبنان، المكتب الإسلامي.
١٠.	**ابن عاشور**، مُحَمَّد بن الطاهر، (١٩٨٤م)، **التحرير والتنوير**، ط: "بدون"، تونس، الدار التونسية للنشر.
١١.	**ابن فارس**، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط: الثانية، لبنان، دار الفكر.
١٢.	**ابن كثير**، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل القرشي، (١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، **تفسير القرآن العظيم**، ط: الأولى الرياض- السعودية، مكتبة العبيكان.
١٣.	**ابن منظور**، أبو الفضل جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم، (١٣٠٠هـ)، **لسان العرب**، ط: الأولى، بيروت- لبنان، دار صادر.
١٤.	**أبو السعود**، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مصطفى، (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، **تفسير أبي السعود** المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم)، ط: "بدون"، بيروت، دار الفكر.
١٥.	**أبو حيان**، مُحَمَّد بن يوسف، (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، **البحر المحيط في التفسير**، ط: الثانية، بيروت، لبنان، دار الفكر.
١٦.	**أبو داود**، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، بدون تاريخ، **سنن أبي داود**، ط: بدون، بيروت- لبنان، دار الفكر.

١٧.	**البخاري**، أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل، بدون تاريخ، **صحيح البخاري**، القاهرة، دار الكتب الحديثة، عيسى الحلبي.
١٨.	**البغوي**، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي، ت: بدون، **تفسير البغوي**، المسمى "معالم التنزيل"، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، ط: بدون، بيروت، دار المعرفة.
١٩.	**الترمذي**، أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى، (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد شاكر، ط: الثانية، القاهرة، مصطفى الحلبي.
٢٠.	**الجوهري**، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (يناير ١٩٩٠م)، **الصحاح في اللغة**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة، بيروت- لبنان، دار العلم للملايين.
٢١.	**الحاكم**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، بيروت- لبنان، دار الكتاب العربي.
٢٢.	**الرازي**، مُحَمَّد بن عمر بن الحسين بن الحسن علي الرازي، بدون: ت، **تفسير الرازي، المسمى "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"**، ط: الأولى، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر.
٢٣.	**الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: عدنان داوودي، الطبعة الثالثة، دمشق، دار القلم.
٢٤.	**رشيد رضا**، مُحَمَّد رشيد بن علي رضا بن مُحَمَّد شمس الدين بن مُحَمَّد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، **تفسير المنار**، ط: الثانية، بيروت- لبنان، دار المعرفة.
٢٥.	**السعدي**، عبد الرحمن آل سعدي، (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، **تفسير**

	السعدي، المسمى "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ط: الأولى، بيروت– لبنان، دار إحياء التراث العربي.
٢٦.	**السندي**، أبو الحسن الحنفي، **حاشية السندي على ابن ماجة**، بيروت، دار الجيل.
٢٧.	**الشوكاني**، مُحَمَّد بن علي **مُحَمَّد**، (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، **فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، الطبعة الأولى، بيروت– لبنان، دار الخير.
٢٨.	**الصنعاني**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، (١٤٠٣هـ)، **مصنف عبد الرزاق**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط: الثانية، بيروت– لبنان، المكتب الإسلامي.
٢٩.	**الطبراني**، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، (١٤٠٤هـ–١٩٨٣م)، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط: الثانية، الموصل– العراق، مكتبة العلوم والحكم.
٣٠.	**الطبري**، أبو جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري، (١٤١٢هـ–١٩٩٢م)، **تفسير الطبري**، المسمى "جامع البيان في تأويل القرآن"، ط: الأولى، بيروت– لبنان، دار الكتب العلمية.
٣١.	**الغزالي**، أبو حامد، (١٤١٢هـ–١٩٩٢م)، **إحياء علوم الدين**، تحقيق: سيد إبراهيم، ط: الأولى، القاهرة، دار الحديث.
٣٢.	**الفيومي**، أحمد بن مُحَمَّد، **المصباح المنير**، بيروت– لبنان، المكتبة العلمية.
٣٣.	**القرطبي**، أبو عبد السلام مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري، (١٤٢٤هـ–٢٠٠٤م)، تفسير القرطبي، المسمى "الجامع لأحكام القرآن"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: "بدون"، بيروت– لبنان، دار الكتاب العربي.

٣٤.	**القشيري**، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، **تفسير القشيري (المسمى لطائف الإشارات)**، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، ط: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان.
٣٥.	**قطب**، سيد إبراهيم، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، **في ظلال القرآن**، ط: الثانية عشرة، جدة– السعودية، دار العلم للطباعة والنشر.
٣٦.	**مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، بيروت– لبنان، دار إحياء الكتب العربية.
٣٧.	**المناوي**، زين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، **التوقيف على مهمات التعاريف**، الطبعة: الأولى، القاهرة، عالم الكتب.
٣٨.	**المناوي**، زين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، (١٣٥٦هـ)، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ط: الأولى، مصر، المكتبة التجارية الكبرى.
٣٩.	النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، **سنن النسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: الثانية، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية.
٤٠.	**النسفي**، الإمام أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، **تفسير النسفي**، المسمى "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، الطبعة: الأولى، بيروت، لبنان، دار الكلم الطيب.
٤١.	**النووي**، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري، (١٣٩٢هـ)، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط: الثانية، بيروت، دار إحياء التراث العربي.